معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس (شرح السنة للبربهاري)

شرح الشيخ (علي الرملي) حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (1)

التاريخ: 11/شوال/1440 هـ

15/حزيران/2019م

الدرس الأول من شرح السنة للبربهاري

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد:

فهذا المجلس الأول من مجالس "شرح السنة" للإمام البربهاري رحمه الله تعالى.

هذا الكتاب الذي سنبدأ بتدريسه إن شاء الله هو كتابٌ يبيّن فيه صاحبه عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهجهم الذي كانوا عليه من عهد النبي ﷺ وأصحابه الكرام إلى زمن المؤلف.

و(**شرح السنة**): بمعنى بيانُها وإيضاحها، وأما السنة فترد في كلام أهل العلم على عدة معانٍ، منها:

المعنى العام أي : الشريعة، ومِن ذلك قول النبي ﷺ: "من رغب عن سنتي فليس مني"[1]، أي: من زَهِد في شريعتي.

والمعنى الثاني: ما يقابل القرآن، أي: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية، على ما يعرّفها به أهل الحديث .

والمعنى الثالث: ضد البدعة؛ ومنها : كتب السنة، وهذا المعنى هو المراد عندنا هاهنا، فكان السلف رضي الله عنهم يؤلفون الكتب في السنة، ويَعْنون بها: المسائل العقائدية، والمسائل التي خالف فيها المبتدعةُ أهلَ السنة والجماعة، فيسمون هذه الكتب بالسنة ويسمونها بكتب (الإيمان) و(الشريعة) و(أصول السنة) وما شابه .

والمعنى الأخير الرابع وهو معنى اصطلاحي: بمعنى **النافلة**، وهو معنى اصطلح عليه بعض الأصوليين والفقهاء.

هذا معنى كلمة: (شرح السنة) الذي هو اسم هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

---

[1]-أخرجه البخاري (5063)، ومسلم (1401) عن أنس.

المؤلف:

وأما مؤلف الكتاب فهو: الإمام البربهاريّ، كان يلقَّبُ بشيخ الحنابلة في زمنه، هو أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري،

و(بربهار) هي أدوية كانت تُجلَب من الهند،

توفي سنة تسعٍ وعشرين وثلاثمائة(329)، وهو من تلاميذ تلاميذ الإمام أحمد، فهو أحد طلبة أبي بكر المَرُّوذي، وأبو بكر المروذي هذا من تلاميذ الإمام أحمد ومشهور بالرواية عنه، ومن تلاميذه أحد أحفاد الإمام أحمد من أبناء صالح ابن الإمام أحمد، وكان رحمه الله على السنة ومتَّبِعاً لمنهج أهل السنة، مدافعاً عنها، محارباً لأهل البدع والضلال حتى أوذي- رحمه الله- من قِبَلهم ووُشِيَ به إلى الحكام وكادوا يبطشون به لولا أن الله سبحانه وتعالى رحمه[1]

والمؤلف كما ذكرنا سيوضح لنا المنهج الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ ومن اتبعهم بإحسان، فإن الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه وبعث نبيّه ﷺ كي نتبعهما، ولم يَكِلْ أمر إيضاح ما فيهما إلينا؛ بل وكّل نبيّه ﷺ ببيان كتاب الله فبيَّنه ﷺ، وأخذ أصحابه عنه، وفهموا مراده فيما قال، وفيما بيّن؛ فهم أدرى وأعلم من غيرهم بمراد رسولنا ﷺ وببيان الحق الذي أراده ربنا تبارك وتعالى على لسان نبيّه ﷺ وبيّنَه، فهم أعلم وأقدر من غيرهم في أمور الشريعة؛ فقد كانوا يعيشون في الزمن الذي كان فيه النبي ﷺ، وشاهدوا التنزيل وعاينوا أفعال النبي ﷺ، وسمعوا أقواله مباشرة وعرفوا كيف خرج الكلام منه، وما هي مناسبته، وبناءً عليه صدرت أحكامه عليه السلام.

وهم أهل سَليقةٍ أيضاً في اللغة العربية فلم يتكلَّفوها تكلفاً، واللغة العربية هي التي جاء بها القرآن وجاءت بها السنة، فكانوا لأجل هذا كله أقدر من غيرهم ممن جاء بعدهم على فهم كتاب الله وسنة رسول ﷺ وعلى معرفة الطريق التي أرادها ربنا تبارك وتعالى.

لهذا السبب ولهذه الأسباب كلها أمر الله تبارك وتعالى باتباعهم، وحذّر من الخروج عن نهجهم فقال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى

[1] انظر ترجمته في "طبقات الحنابلة" (18/2) لابن أبي يعلى، و"سير أعلام النبلاء" (395/11) للذهبي.

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[1]، كان بالإمكان أن يقول: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ ويسكت، ولا يتمم الباقي؛ لكنه عز وجل أراد هذه التتمة:﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

من هم المؤمنون الذين كانوا على عهد النبي ﷺ؟

هم أصحاب النبي ﷺ، إذاً من يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين؛ قد حذره الله تبارك وتعالى وأعَدَّ له العقاب المذكور في الآية، فنحن مأمورون باتِّباع السبيل الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ.

من هذه الآية ومن غيرها من الآيات نعلم أن المنهج الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ هو المطلوب منا اتباعه.

وأنتم تعلمون أن طريق الحق الموصل إلى الله سبحانه وتعالى واحد، نأخذ هذا من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[2]، في هذه الآية بيّن لنا ربنا تبارك وتعالى أن طريق الحق واحد وليس متعدّداً، وأمَرنا باتباع هذا الطريق، وحذّرنا من مخالفته والمشي في غيره من الطرق؛ فإن النبي ﷺ لما ذكر هذه الآية خطّ خطّاً مستقيماً ثم خَطَّ حوله خطوطاً ثم قال: "هذا سبيل الله وهذه سُبُلٌ، على كل سبيل شيطان يدعو إليه"[3]، على كل سبيل شيطان يدعو إلى تلك السَّبيل؛ إذاً طرق الضلال كثيرة وطريق الحق واحد؛ لذلك قال ﷺ: "ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة"، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي"[4]، في إشارة واضحة إلى أن المنهج الحق هو الذي كان عليه

---

[1] [النساء:115]

[2] [الأنعام:153]

[3] أخرجه أحمد (4437) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[4] أخرجه الترمذي (2641) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فالمنهج الذي يريده منا ربنا تبارك وتعالى هو: اتباع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واتباع المنهج الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ.

وفي رواية أخرى قال:" الجماعة"[1] ﷺ، وهذه الرواية تفسر الأخرى؛ فمعنى الجماعة: هو ما اجتمع عليه أصحاب النبي ﷺ.

إذن طريق الحق واحد، وقد تبيَّن لنا مما تقدّم ما هو هذا الطريق، ويتَّضح أيضاً من قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ ﴾[2]، بيّن لنا ربنا تبارك وتعالى في هذه الآية أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار قد وصلوا إلى رضا الله ووصلوا إلى أن أعَدَّ الله تبارك وتعالى لهم جنات تجري تحتها الأنهار؛ فقد سلكوا طريقاً يصل بهم إلى برّ الأمان وإلى رضا الله سبحانه وتعالى وإلى الجنة، فهذا الطريق الذي كانوا عليه هو الطريق الوحيد الذي يوصل إلى ما وصلوا إليه، وأما غيره من الطرق فطرق ضلال؛ هذا واضح.

وفي الآية نفسها أمرٌ من الله باتباع هذا الطريق: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾؛ اتبعوا من ؟ اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ففي الآية أمر باتباع منهج الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فإنك إذا أردت النجاة تسير على ما كانوا عليه؛ لذلك لمّا وعظ النبي ﷺ الصحابة، قال رجل: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[3]؛ فلم يكتفِ ﷺ بقوله :" عليكم بسنتي"؛ بل أضاف إليها قوله: "وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ ".

---

[1] أخرجه أحمد (12479)، ابن ماجه (3993) عن أنس رضي الله عنه.

[2] [التوبة:100]

[3] أخرجه أحمد(17142)، الترمذي(2676)، وأبو داود(4607)، وابن ماجه(42، 43) عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

هذه كلها نصوص تبيِّن لنا أن من أراد النجاة وأراد المنهج؛ فعليه باتباع الذي كان عليه النبي ﷺ، وكان عليه صحبه الكرام، وأن ديننا دين اتباع وليس دين ابتداع؛ هذه المسألة مهمة جداً، وهي من المسائل التي اضطرب فيها الكثيرون، وحصلت بسببها الانحرافات التي نراها حتى من بعض من ينتسب إلى السنة.

((ديننا دين اتباع لا دين ابتداع))؛ يجب أن تحفظوا هذا الأصل جيّداً.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في وصيته النفيسة: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)[1]، أي: كفاكم من قبلكم تكلف الاجتهاد وتحمل أوزار الأخطاء والضلالات؛ فربما تميل نفسك ويميل هواك مع اجتهاد من الاجتهادات فتزيغ؛ لذلك قد كفاك مَن قَبلك هذا الحِمل فاتبع تسلم؛ فقد كُفيت.

نتبع من؟

الأقدم فالأقدم: أصحاب النبي ﷺ هم الأقدم، فإذا وجدت في المسألة قولاً لأحدٍ منهم فتمسك به، فإن لم تجد؛ فانظر إلى من بعدهم؛ فهم الذين قال فيهم النبي ﷺ: "خير الناس قرني"[2] أي: هو وأصحابه، "ثم الذين يلونهم" يعني: ثم الذين بعدهم وهم التابعون الذين أخذوا عن أصحاب النبي ﷺ، "ثم الذين يلونهم"، الذين بعدهم وهم الذين أخذوا عمن أخذوا عن أصحاب النبي ﷺ؛ ثلاثة قرون مفضلة، ثم ذم النبي ﷺ القرون التي بعدهم، فيبقى الحق منتشراً ظاهراً واضحاً، وتظل البدع وأهلها أذلة؛ في هذه القرون الثلاثة، ثم بعد هذه القرون الثلاثة بدأت تظهر البدع ويظهر أصحابها، فإن لم تجد قولاً عن التابعين فانتقل إلى أتباع التابعين، فإن لم تجد عن أتباع التابعين؛ فانظر إلى إمام السنة في زمنه واتبعه.

وجدنا مسائل في زماننا هذا حدثت بعد أن لم تكن في الأزمنة الماضية؛ انظر إلى أئمة الزمن واجعلهم أئمة لك وامضِ على ما هم عليه؛ فهذا الطريق هو الذي يكون أماناً لك من الزلل

---

[1] أخرجه الدارمي (211)

[2] أخرجه البخاري (3651)، ومسلم (2533) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

والانحراف، ولا تحسن الظن بنفسك وتسئ الظن بالعلماء الأئمة الذين عُرفوا بالثبات على الحق، عُرفوا بحمل راية السنة والدفاع عنها، عُرفوا بحربهم لأهل البدع والضلال، ودفاعهم عن دين الله تبارك وتعالى، والنُّصح للإسلام والمسلمين، وكثُرَت الثناءات عليهم بذلك ممن هم أهل للثناء وعندهم علم ومعرفة بمن هم أهل لأن يُثنى عليهم بذلك، فارجع إليهم فيما جدّ من مسائل في عصرك؛ فهم أئمة الزمن.

أذكر كلمة لابن جرير الطبري - ولعلكم تعرفون من هو الطبري وإمامته في التفسير- كان يتحدث عن مسائل الاعتقاد فيذكر المسائل ويذكر من السلف من قال بقوله في المسألة، حتى جاء إلى مسألة اللفظ- وهي قول لفظي بالقرآن مخلوق؟ مسألة حدثت في زمن الإمام أحمد ولم تكن قبل ذلك-؛ فقال : (لم أجد فيها من قال في هذه المسألة ممن سبق، وما وجدت إلا قولاً للإمام أحمد وهو إمام يقتدى به) [1]، فقال بقول الإمام أحمد، وهو قريب العصر منه، لكن ما أراد أن يقول قولاً ليس له فيه إمام كما قال الإمام أحمد: (لا تقل بقول ليس لك فيه إمام) [2]، فهذا زِمامٌ تربط به نفسك لئلا تزيغ وتضل، ابقَ مع أئمة الزمن؛ كي تبقى على جادة الصواب، أما إذا فتحت المجال لنفسك وأعطيتها هواها وأرخيت الزمام لعقلك؛ فعندئذ ستشطح شطحات يمنة ويسرة كما حصل من أصحاب العقول الذين قال فيهم عمر :(قد أعيتهم الآثار أن يحفظوها فمالوا إلى الرأي

[1] قال في صريح السنة (ص 25): وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن، فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا تابعي قضى، إلا عمن في قوله الغناء والشفاء رحمة الله عليه ورضوانه، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه، فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: " اللفظية جهمية؛ لقول الله جل اسمه: {حتى يسمع كلام الله} [التوبة: 6]، فممن يسمع؟!". ثم سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه أنه كان يقول: " من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، ومن قال: هو غير مخلوق، فهو مبتدع ". ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله، إذ لم يكن لنا فيه إمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمنع، وهو الإمام المتبع رحمة الله عليه ورضوانه. انتهى

[2] أخرجه ابن الجوزي في مناقب أحمد (ص245)، قال: الميموني، قال لي أحمد بن حنبل: يا أبا الحسن، إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام.

فضلوا وأضلوا)[1] ، ما استطاعوا أن يحفظوا سنة النبي ﷺ ولا استطاعوا أن يحفظوا آثار الصحابة والتابعين؛ فتركوا كل ذلك ومالوا إلى الرأي فضلوا وأضلوا، هذا هو المنهج السلفي،

ومما سيأتي معنا من كلام البربهاري رحمه الله ستتضح لنا الأمور أكثر إن شاء الله.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[1] أخرجه الدارقطني في سننه (4280)، وابن أبي زمنين في" أصول السن" (8)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (201)، وغيرهم، ولفظ الدارقطني: «إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءَ السُّنَنِ أَعْيَتْهُمُ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَقَالُوا بِالرَّأْيِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (2/ 1042) من طرق عنه.

قال البربهاري رحمه الله :(**الحَمْدُ لله الذي هدانا للإسْلامِ**).

(**الحمد**): هو وصف المحمود بالكمال محبة وتعظيماً، **المحمود**: هو الله

فالحمد هو وصفه بالكمال محبة له وتعظيماً؛ هكذا عرّفه ابن القيم رحمه الله، وكثير من أهل العلم يقولون: هو الثناء على الله تبارك وتعالى.

والحمد المطلق الكامل الشامل، هذا لله وحده، يختص به سبحانه وتعالى، أما الحمد المقيد: تحمد شخصاً على شيء معين؛ فهذا يجوز لله ولغيره.

فهذا الحمد هو الشامل لجميع المحامد، فالألف واللام فيه للاستغراق،

فقال المؤلف هنا: (**الحمد لله الذي هدانا للإسلام**)، فيحمد الله سبحانه وتعالى على نعمة تفضل الله سبحانه وتعالى عليه وعلينا بها، وهي نعمة الإسلام، وهي من أفضل النعم ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾[1]، فالإسلام نعمة من الله تبارك وتعالى يُحمَد عليها أن منّ علينا بها.

وقد بدأ المؤلف بالحمد اقتداءً بالنبي ﷺ، فقد كان ﷺ في خطبه ومحاضراته يبدأ بالحمد، وأما في رسائله فكان يبدأ بالبسملة، هذا الثابت عنه ﷺ في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرها.

قال: (**ومَنَّ علينا به، وأَخْرَجَنا في خيرِ أُمَّةٍ**)

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾[2]، فهذه الأمة التي هي أمة محمد ﷺ هي آخر الأمم وخير الأمم.

قال: (**فنَسْألُهُ التَّوفيقَ لما يُحِبُّ ويرضى، والحِفْظَ مِمَّا يَكْرَهُ ويَسْخَطُ**)

---

[1] [المائدة:3]

[2] [آل عمران:110]

هذا دعاء من المؤلف، فنسأله تبارك وتعالى كما سأله.

والدعاء من أسباب الثبات؛ لقول النبي ﷺ في الدعاء الذي كان يكثر منه: "يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك"[1]، فالإكثار من الدعاء بالثبات، هو من أسباب الثبات على الجادة، نسأل الله أن يثبتنا وإياكم.

قال المؤلف رحمه الله: ([1] اعلموا أنَّ الإسلامَ هو السُّنَّةُ، والسُّنَّةُ هي الإسلامُ، ولا يقومُ أَحَدُهُما إلا بالآخَرِ)

الإسلام: هو الاستسلام لله والانقياد له بما شرع،

وأما **السنة** فهي: هدي النبي ﷺ.

قال المؤلف: (**الإسلام هو السنة**)، فلا يمكن أن ينفصل الإسلام عن هدي النبي ﷺ وما جاء به.

قال: (**والسنة هي الإسلام**) كذلك، فهذا هو ذاك، وذاك هو هذا، لا فرق بينها أبداً، (ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر)، فمن ادعى الإسلام ولا يعمل بهدي النبي ﷺ فليس بمسلم حقيقة، ومن ادعى اتباع هدي النبي ﷺ ولم يدخل في الإسلام؛ فليس بمسلم، فلا بد أن يُوجِد الأمران.

قال المؤلف رحمه الله: ([2] فَمِنَ السُّنَّة لُزومُ الجَماعَةِ، فَمَنْ رَغِبَ غَيْرَ الجماعَةِ، وفارقها؛ فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ مِنْ عُنُقِهِ، وكانَ ضالًّا مُضِلًّا).

فمن السنة وهدي النبي ﷺ لزوم الجماعة، يعني: الثبات عليها والتمسك بها وعدم الانحراف عنها.

والجماعة كما جاء في رواية من الحديث الذي ذكرناه: "ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة"، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "الجماعة" وفي رواية أخرى قال: "ما أنا عليه وأصحابي"، فهذه تفسر لنا معنى (الجماعة)، فمعنى الجماعة هو المنهج الذي كان عليه النبي ﷺ وكان عليه أصحابه الكرام.

---

[1] أخرجه أحمد (19/ 160) والترمذي(2140)، وابن ماجه(3834)، من حديث أنس، وأخرجه مسلم (2654) عن عبد الله بن عمرو بلفظ: "اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ".

وجاء عن بعض السلف أنه فسر (الجماعة): بالحق وإن كنت وحدك.

وهذه يفهمها البعض فهماً سقيماً مقلوباً، فيظن نفسه أنه إن أتى بمنهج جديد أو قولٍ شاذّ أنه هو الذي على الحق والباقي كلهم على ضلال، فيتمسك بهذا ويقول لك : أنا الجماعة والباقي كلهم منحرفون.

ليست هذه الجماعة؛ إنما الجماعة ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ، وما كان عليه النبي ﷺ؛ ما كان عليه السلف الصالح؛ هذا معنى الجماعة.

وقول المؤلف: (**فمن رغب غير الجماعة وفارقها**)؛ كيف يفارق الجماعة؟

يفارق الجماعة بترك السنة واتباع البدع.

وهنا أمْر مهم:

أمر الله تبارك وتعالى بالاجتماع ونهى عن الافتراق؛ أمرٌ مسلَّم، قال الله تعالى: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾، هذا أمر بالاجتماع على الكتاب والسنة ونهي عن الافتراق والاختلاف: ﴿ ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً﴾، ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾، إذاً تفريق الدين والفرقة والاختلاف من سبيل المشركين وليس من سبيل المؤمنين، ونحن مأمورون بالاجتماع، ولكن أي اجتماع هذا الذي أُمِرنا به؟ كثير من الناس اليوم يقول لك: حافظوا على الاجتماع نريد الاجتماع، لا أحد يتكلم بكلام يثير الفرقة والاختلاف؛ من هذه الدندنة التي نسمعها، ومِن ذلك قولهم:" نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه "؛ تحقيقاً للاجتماع، هذه القاعدة لذلك، لكن هل هذه القاعدة وهذا المنهج هو الذي أمر الله به؟

لا؛ الله سبحانه وتعالى قيّدَ فقال في كتابه الكريم:﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾،

ولم يقلْ: اجتمعوا ولا تفرقوا، وفرقٌ بين الأمرين؛ فإن: اجتمعوا ولا تفرقوا تعني: اجتمعوا على أي شيء ولا تفرقوا؛ لكنه قال:﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾، فالاجتماع على حبل الله، وحبل الله هو الذي يصلنا بالله تبارك وتعالى وهو الكتاب والسنة، هذا هو الذي جاء من عند الله تبارك وتعالى، فحبل الله هو شرعه ودينه الذي جاء به النبي ﷺ والذي عليه أصحابه الكرام رضي الله عنهم؛ فالاجتماع يكون على ذلك، فمن تمسك بهذا مع إخوانه؛ فهو مجتمِع، ومن ابتدع في دين الله بدعة خالف فيها ما أمر الله به ورسولُه؛ فقد فارق الجماعة، إذاً التفريق يكون ممن ابتدع لا ممن حذر ممن ابتدع.

الأمور اليوم مقلوبة؛ مَن بيّن حال المبتدع وأظهره للناس ليحذروه وليتبين لهم الحق من الباطل ويبقى الحق متميزاً عن الباطل يقولون: أنت تفرق الكلمة.

انظر كيف انقلبت الأمور في زمن الجهل طبعاً؟! عندما تنقلب الأمور وينقلب العلم إلى جهل يصير هذا الحال؛ فيقولون للذي ينصح ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبين الحق من الباطل ويفصلهما عن بعضهما كي يبقى هذا واضحاً جليّاً ويبقى ذاك واضحاً للجميع أيضاً: أنت تفرق الأمة.

هذا تفريق واجب، إذا كان هو الذي يفرق الأمة بهذا فهذا تفريق واجب، لا بد عليه أن يفعله؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالنصيحة وأمرنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا تركنا هذا؛ عُذّبنا عليه، وما نعيش فيه من اضطرابات ومن بلاءات ومن عذاب وعقاب كله بسبب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك النصيحة التي أمر الله تبارك وتعالى بها، قال النبي ﷺ: "الدين النصيحة"، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: " لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم"، فمن النصح للناس أن تبين لهم من يدعوهم إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله، من يدعوهم إلى الصراط المستقيم ومن يدعوهم إلى طرق الانحراف والضلال؛ هكذا يكون الاجتماع المأمور به، والذي يُفرِّق هو الذي يبتدع، متى وجدت المبتدع فاعلم أنه هو المفرّق لا الذي حذّر منه، الذي حذّر منه قد نصحك وبين لك وأمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر ونهى ذاك عن منكره الذي هو فيه؛ نصحاً له ولغيره من الناس.

وهؤلاء المبتدعة موجودون في كل زمان، وكلما ابتعد الزمن عن زمن النبوة كلما كثروا أكثر، وقد أخبر النبي ﷺ بأنه سيظهر في آخر الزمان الجهل ويُرفع العلم؛ فقال: "من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويظهر الجهل"[1]، ظهور الجهل ظهورٌ للبدع والضلالات؛ بل إن أحد أئمة السلف فسر الجهل هنا بالبدع، وهذا موجود،

وفي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ...)

وفي الحديث أن حذيفة قال: (فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا"[2]، فأراد حذيفة أن يعرف هؤلاء الدعاة؛ فأخبره النبي ﷺ أنهم بشرٌ ولكنهم دعاة على أبواب جهنم.

هؤلاء هم الذين يفرقون الكلمة ويشتتون المسلمين ويلبّسون عليهم أمر دينهم، ولو لم يأت العالم السني الرباني ويبيّن أحوال هؤلاء الناس؛ من أين للعامي أن يعرف داعية الضلالة من داعية الهداية؟ لا يمكن له أن يعرف هذه الأمور؛ فداعية الضلال هذا يأتيه بلسان حلو معسول، ويتكلم معه بأجمل العبارات ويقول له: قال الله وقال رسول الله، ويدسُّ له السم في العسل، والجاهل جاهلٌ ما يدريه؟ سيقول: هذا يقول: قال الله وقال رسول الله.

ونحن نسمع من الناس هذا كثيراً، تأتي وتقول لهم: احذروا فلاناً؛ فالرجل مفسد لدين الله؛ فيقولون: ما نسمع منه إلا قال الله قال رسول الله... وأنت ما أدراك؟

هذه هي الحقائق التي نعيشها اليوم، أمثال هؤلاء هم الذين يفرقون كلمة المسلمين فيشتتون جمعهم، وفي زمننا هذا هم كُثُرٌ؛ بل هم أكثر من دعاة الهدى والدعاة على الصراط المستقيم، قال

---

[1] أخرجه البخاري (5577)، ومسلم (2671)، واللفظ لمسلم، ولفظ البخاري: "أن يظهر الجهل، ويقلَّ العلم"، وفي رواية لمسلم: "ويثبت الجهل".

[2] أخرجه البخاري (7084)، ومسلم (1847).

النبي ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ صدور الرجال وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ فإِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بغير علم فضلوا وأضلوا"

يُسألون بجهل ويفتون بجهل، ماذا سيأتي منهم؟ لن يأتي إلا البدع والضلالات والانحرافات والفجور؛ كله من هؤلاء القوم، وهم كُثُرٌ، وكما ذُكر في الحديث: أنه "إذا لم يبق عالماً"، حتى العلماء يقلّون جداً، ولكن هذا الحديث يُفسَّر على معنى الحديث الآخر الذي قال فيه النبي ﷺ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ومن خذلهم حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ"، فهذا الحديث الثاني يدلُّ على أن العلماء سيبقون إلى آخر الزمان؛ لأن الطائفة المنصورة هذه رجالها هم العلماء فالعامة لا تستطيع أن تحمل شريعة وديناً وتحفظه إلى آخر الزمان؛ لذلك جاء تفسيره عن الإمام البخاري رحمه الله؛ قال: (هم العلماء) وقال في موطن آخر عندما ذكر أهلَ الحديث: وقال الإمام أحمد: إذا لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم،

ذكر البخاري أهل الحديث وأئمة أهل الحديث، فكانوا هم العلماء عنده، فلا يعني العلماء: علماء السنة علماء البدعة؛ وإنما يعني علماء السنة بالذات، وسمّى في كتابه أئمة الحديث، فسمّى عبدالرحمن بن مهدي، ويحيى بن سعيد القطان، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة ... إلى آخره من أئمة الحديث،

فهذا الحديث يبين لنا أن هذه الطائفة باقية إلى آخر الزمان ولكنهم قِلَّة، ومع كونهم قلة يبقى صوتهم عالياً مرتفعاً وتبقى كلمة الحق ظاهرة منتشرة كي يقيم الله سبحانه وتعالى الحجة على العباد بهم، وهذا الحاصل اليوم؛ لو جئت تعُدُّ علماء السنة؛ تجدهم قليلين جداً، والمنتشرون في الأرض بكثرة من علماء الضلال والبدع كما أخبر النبي ﷺ تماماً.

وقوله: (فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه).

الرِّبْقَةُ في الأصل: **عروة** يعني حلقة تكون مربوطة بحبل، كانوا يضعونها في رقبة البهيمة أو في يدها كي يحبسوها بها، فاستعارها للإسلام، فكأن العبد مقيَّدٌ بأحكام الله وشرعه وحدوده، فإذا فارق الجماعة، فارق السنة وركب البدعة؛ فقد فَكَّ هذه الحلقة من رقبته، (فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام

من عنقه)، ترك دين الله وشرعه وارتكب البدع، إما أن يكون تركه تركاً كُلِّياً أو أن يكون تركه تركاً جزئياً، فإما أن يكفر ببدعته وضلاله وانحرافه، أو أنه لا يكفر ولكنه يبقى في دائرة الضلال والانحراف.

قال: (وكان ضالّاً مُضلاً)

كان ضالاً: أي: هذا الذي فارق الجماعة؛ كان ضالاً في نفسه،

فالضلال: هو الانحراف عن الطريق المستقيم،

ضَلَّ الطريق: يعني انحرف عن الطريق المستقيم وركب طريقاً منحرفاً عن جادة الصواب، فهو ضال في نفسه،

و(مضلٌ) لغيره،

(وكان ضالاً مضلاً)، أي: مضلاً لغيره عن طريق الحق؛ فكل طريق وله دعاته.

وقد عرفنا الطريق الذي رسمه النبي ﷺ ورسم حوله طرقاً، فكل طريق من هذه الطرق لها دعاتها؛ طريق الحق له دعاته، وطُرقُ الباطل لها دعاتها، فإذا كان الداعية هذا يدعوك إلى طريق الضلال، فهو ضال في نفسه مضل أيضاً لغيره، والذي يدعوك إلى الطريق الحق؛ فهو مهتد في نفسه ويدعوك إلى الهداية.

قال المؤلف رحمه الله: ([3] والأساسُ الذي تُبْنى عليهِ الجَماعَةُ، وهُمْ أصحابُ محمدٍ ﷺ ورحِمَهم أجمعين، وهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، فمن لمْ يَأخُذْ عنهم فقدْ ضَلَّ وابْتَدَعَ، وكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالةٌ، والضَّلالةُ وأهْلُها في النَّارِ).

رجعنا إلى تأسيس المنهج السلفي، الأساس الذي تبنى عليه الجماعة، جماعة المسلمين الذين هم على الحق، الأساس الذي يُقعَّد ويؤصَّل بناءً عليه هم أصحاب النبي ﷺ للأدلة التي سقناها سابقاً.

متى جاءت تسمية أهل السنة والجماعة؟

جاءت هذه التسمية بعد أن انتحل أهل الباطل اسم الإسلام وصاروا يدّعون أنهم على الإسلام الحق، فلما اختلطت الأمور ببعضها؛ احتاج أهل السنة أن يسموا أنفسهم باسم يفترقون به عن أهل الباطل؛ فتسموا بأهل السنة والجماعة.

هم أهل السنة؛ لأنهم الذين يتمسكون بهدي النبي ﷺ وسنته، وهم أهل الجماعة؛ لأنهم هم الذين يجتمعون على ذلك، فالذي يستحق هذا الاسم بحق هو من اتبع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واجتمع عليها، هؤلاء هم أهل السنة والجماعة.

ثم صار لهذا الاسم قوّته، وصار الناس يعرفون أن الذين يتبعون هذا المنهج هم أهل الحق وغيرهم أهل ضلال؛ انتحل أهل الباطل والبدع هذا الاسم؛ حتى يلبِّسوا على الناس- وما زالت هذه طريقتهم- فلذلك تَسَمَّى أهل السنة بالسلفيين؛ للمفارقة بين من يدعي أنه من أهل السنة ومن هو على السنة بحق.

الآن وفي المدة الأخيرة صار هذا الاسم عَلَمَاً معروفاً بأن من يتَّبعه فهو على الحق؛ متبع لكتاب الله ولسنة الرسول ﷺ ولمنهج السلف الصالح رضي الله عنهم؛ فدخل فيه أهل الباطل أيضاً، كما حصل مع اسم أهل السنة والجماعة تماماً، فصار ينتحِلُه من أهل البدع والضلال الكثير والفِرق المختلفة، فليس كل من ادّعى أنه من أهل السنة والجماعة فهو من أهل السنة والجماعة؛ الأشاعرة يقولون نحن من أهل السنة والجماعة، طيب تعالوا نتحاكم إلى السنة؛ لا يقبلون، يقولون: لا؛ إنما نتحاكم إلى العقل في الأسماء والصفات، لا يثبتون، لماذا لا تثبتون؟ قالوا: العقل لا يثبت الصفات التي تثبتونها أنتم التي ثبتت بالكتاب والسنة، ويلزم منها التشبيه.

فنقول لهم: إذاً أنتم لستم أهل سنة، أنتم عقلانيون ولستم سنّيّين، وفرقٌ بين الأمرين، والإنسان يُنسَب إلى أصوله، فما هي أصولك؟ كتابٌ وسنة فأنت تنسب إلى الكتاب والسنة، أصولك العقل فتنسب إلى العقل ولست إلى السنة، أصولك البدعة والضلالة فأنت من المبتدعين الضلّال ولست من أهل السنة والجماعة؛ هكذا يُنسَب الشخص.

كذلك السلفيون اليوم؛ ليس كل من ادعى السلفية فهو سلفي- نفس الصورة، ونفس القضية-، الخارجي يدعي أنه سلفي اليوم، المرجئ يدعي أنه سلفي، كثير من هؤلاء موجودون ويدعون أنهم

سلفيون، فليس كل من ادعى السلفية فهو سلفي، رؤوس من رؤوس الخوارج اليوم يفتون بسفك الدماء دماء المسلمين ليلاً نهاراً، ويقول لك: أنا سلفي، المرجئ يصرح بإرجائه ويقول لك: أنا سلفي، السلفي يُرجَع فيه إلى أصوله، فإذا كنت على أصول السلف؛ عندئذٍ قل: أنا سلفي، أما أن تخالف أصول السلف وتدعي أنك على نفس الأصول؛ فهذا كذب.

وأصحاب النبي ﷺ هم أصل أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم وترك طريقهم؛ فقد ضل عن طريق الحق وابتدع في دين الله ما ليس منه

ما هي البدعة؟

البدعة: أيُّ عبادة؛ سواء كانت عقائدية أو من أعمال القلوب أو من عبادات الأقوال أو من عبادات الأعمال، أيُّ عبادة من العبادات تتقرب بها إلى الله ولا أَصْلَ لها في شرع الله.

وقوله: (فقد ضَلَّ وابتدع): أي: من لم يمشِ على طريق أصحاب النبي ﷺ؛ فلا يمكن له إلا أن يَقَعَ في البدعة.

(وكل بدعة ضلالة)، (كل) لفظ من ألفاظ العموم عند الأصوليين، مأخوذ من لغة العرب، فعند العرب (كل) تستعمل للعموم، فعندما يقول النبي ﷺ: " كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار" فهذا تعميم، لا تأتي أنت بعد ذلك وتقول: يوجد بدعة حسنة وبدعة سيئة، من أين أتيت بهذا؟ النبي ﷺ أتى بلفظ عام يشمل كل شيء، إن كان عندك تفصيل فأتِ بدليل، سيقول: نعم عندي دليل، ما هو دليلك؟ يقول: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إلى قيام الساعة"، نقول له: هذه سنة وليست بدعة؛ وفرقٌ بين اللفظين، قال عليه السلام: "من سن في الإسلام سنة حسنة" ولم قل: بدعة حسنة، وسبب هذا الحديث نفسه الذي تستَدِلُّ به يُفسر السنة الحسنة.

ما سببه؟ نرجع إلى الحديث كي نعرف سببه.

عن جرير بن عبد الله قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمِ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ

حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ"[1]

أي لما رأى النبي ﷺ حالة القوم- لباسهم وهيئتهم- كلها تدل على الفقر والحاجة، أمر أصحابه بالصدقة، فلم يقم أحد، ثم قام رجل ومعه صرة ووضعها بين يدي النبي ﷺ، تصدق بها، فتتابع الناس بالصدقة لما رأوا هذا الرجل، هذا الرجل ماذا فعل الآن عندما أتى بالصرة هذه وتصدق بها؟ امتثل لأمر النبي ﷺ، هل هذه تسمى بدعة؟ لا تسمى بدعة؛ ولكنه عمل بأمر النبي ﷺ، فهذه سنة، فمن أحيا سنة أميتت بين الناس وتتابع الناس على العمل بها؛ فله أجرها وأجر من عمل بها إلى قيام الساعة، هذا معنى الحديث، فليست هذه من البدعة في شيء حتى تأتي وتفصل بدعة حسنة وبدعة سيئة؛ فالبدع كلها سيئة.

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[2].

عبادات عظيمة يريدون بها المبالغة في التعبد لله تبارك وتعالى والتقرب إليه؛ هل فرح النبي ﷺ عندما سمع بهذا؟

---

[1] أخرجه مسلم (1017)

[2] أخرجه البخاري (5063)، ومسلم (1401)

في رواية مسلم، قال ﷺ: " ما بال أقوام قالوا : كذا وكذا؟"، وعند البخاري: "أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له"

يعني تريدون تقوى الله بعملكم هذا؟ أنا أكثر منكم تقوى، تريدون خشية الله؟ أنا أكثر منكم خشية لله سبحانه وتعالى: "فمن رغب عن سنتي فليس مني"؛ هذا ما أجابهم به النبي ﷺ؛ لماذا؟ لأنه خروج عن هدي النبي ﷺ، فالله سبحانه وتعالى أراد منا أن نعبده، وأن نعبده وحده لا شريك له، وأن نعبده كما يحب ويرضى لا بأهوائنا، لا كما نستحسن نحن،

ورحم اللهُ الإمامَ الشافعيَّ؛ قال: (من استحسن فقد شرع)، إذا استحسنت عبادة من عقلك وأتيت بها من عندك؛ فقد جعلت نفسك مشرّعاً مع الله.

وقال مالك: (من ابتدع في دين الله بدعة فقد ادعى أن محمداً خان الرسالة)

فالمبتدع له أحد حالين لا ثالث لهما: إما أنه جعل نفسه مشرعاً مع الله سبحانه وتعالى وأتى بالدين والشرع الذي هو يحبه ويرتضيه، أو يكون مدَّعياً أن محمداً ﷺ قد خان الرسالة ولم يبلِّغ ما أراده الله؛ فأراد هو أن يتمّم، وكلا هذين الأمرين أشار إليهما الشافعي ومالك رحمهما الله، فالمبتدع دائر بين هذين الأمرين؛ هذا أو هذا، لم يعجبك شرع الله ودينه فأردت أن تأتي بشيء من عندك أو أنك تدعي أن شرع الله ما كَمُل وأنت تريد أن تكمّله؛ هذه هي البدعة.

قوله: (فقد ضل وابتدع) يعني ضل طريق الحق، انحرف عنه، وجاء بأمر جديد؛ إما عقائدي أو عملي،

(وكل بدعة ضلالة) ليس عندنا تفصيل؛ أي بدعة فهي ضلالة، انحراف عن الجادة.

(والضلالة وأهلها في النار) كما قال النبي ﷺ: " كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار".

الأسئلة

السائل: شيخنا - الله يبارك فيكم - ذكرتم العلماء وأكثرتم من هذا، من تقصدون بالعلماء في هذا الزمن؟

الشيخ: العلماء الربّانيّون الذين اجتمعت كلمة أهل السنة عليهم، في الزمن الماضي وقبل أن يموتوا هم : الإمام ابن باز رحمه الله، وابن عثيمين، والإمام الوادعي، والإمام الألباني؛ هؤلاء الأربعة لا يشك أي منصفٍ بأن هؤلاء أئمة قد جعل الله سبحانه وتعالى لهم قبولاً في الأرض ولهم من الثمرات والحسنات ما لا يستطيع أحد أن ينكره، فلهم من الخير ونشر السنة ونشر العقيدة - عقيدة التوحيد وعقيدة أهل السنة - ما لا تستطيع دُوَل أن تنشره، فهؤلاء قد استقرت كلمة أهل السنة وكلمة العلماء على الثناء عليهم حتى إن بعض أهل البدع والضلال يثني عليهم ويعرف لهم قدرهم.

ومن خلال أعمالهم وما جعل الله لهم من قبول في الأرض ومحبة بين الناس وثناء من العلماء عليهم عرفنا هذا، وكذلك من خلال دعوتهم أيضاً التي كانوا يدعون إليها؛ كانوا يدعون إلى السنة والتوحيد وإلى عقيدة السلف رضي الله عنهم.

ومِن هؤلاء تستطيع أن تعرف من بعدهم، فمِمَّن أُثنِيَ عليه من قِبل هؤلاء الأئمة:

الشيخ صالح الفوزان وما زال حيّاً والحمد لله، كذلك الشيخ ربيع بن هادي المدخلي وما زال حياً والحمد لله، والشيخ أحمد النجمي مات رحمه الله، وكذلك ممن يُثنى عليه وهو معروف بالخير: كالشيخ عبيد الجابري، والشيخ صالح اللحيدان، والشيخ عبد المحسن العباد؛ مثل هؤلاء كلهم أئمة، ومن خلالهم بإمكانك أن تعرف البقية.

طبعاً أنا ذكرت البعض، ذكرت الكبار، هؤلاء كبار علماء الإسلام، وهم الذين يعتبرون أئمة في زمانهم هذا، أما البقية غيرهم فكثير والحمد لله.

ومن خلال سؤال هؤلاء الكبار يُعرفُ البقية

السائل: شيخنا: كثير من الناس اليوم يشبّهون على العوام، أي: يلقون الشبهات عليهم؛ فيقولون: الإمام البخاري كان يروي في "صحيحه" عن المرجئة وعن المبتدعة أمثال القدرية وغيرهم، فنحن لا حرج أن نأخذ عن هؤلاء إلا إن التزمنا بدعهم.

الشيخ : يقول النبي ﷺ عند التحذير من الدجال: "من سمع به منكم فلينْأَ عنه" يعني يهرب منه، يفر بجلده؛ لماذا؟ قال: "فإن الرجل يأتيه وهو مؤمن" ويظن أنه قادر عليه "فينغمس معه مما معه من الشبهات" أو كما قال عليه الصلاة والسلام، هذا الحديث أصلٌ في الفرار من صاحب الشبهات ومن أهل البدع والضلال، أنت تأتي لصاحب البدعة، هل تأمن على نفسك ألا تأخذ من بدعته؟ ألّا تتشرب منه؟ إن أمنت على نفسك فأنت جاهل؛ فالنبي ﷺ يقول: "قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء"، فكيف تأمن على نفسك بعد ذلك؟! إذا كان أئمة الإسلام في زمانهم لم يأمنوا على أنفسهم؛ فكيف تأمن أنت على نفسك؟ هذا أيوب بن أبي تميم السختياني - وهو إمام من أئمة أتباع التابعين - جاءه رجل فقال له : أريد أن أكلمك فقال له : ولا كلمة، وفَرَّ منه.

وجاء رجل من أهل البدع إلى عبد الله بن طاووس، وأراد أن يكلمه وكان ابنه موجوداً فقال عبد الله لابنه: (يا بني! ضع أصبعيك في أذنيك واشدد) يقول معمر الذي يروي هذا الأثر عن عبد الله؛ قال : (فإن القلوب ضعيفة والشبه خطافة)، ما أدراك أن تسمع شبهة فيتلقّفها قلبك ويتشرّبها فتضلّ بها، هل الدين يحتمل المقامرة؟ لا يحتمل؛ جنة أو نار، المسألة ليست لعباً، هذا أصل سلفي عام، من خالفه رأينا نتائجه؛ وهي الانحراف مع أهل البدع .

أبو قلابة الجرمي أخذ عن سبعين من أصحاب النبي ﷺ- هو من التابعين- يقول: (لا تجالسوا أهل البدع ولا تجادلوهم فإني أخاف عليكم أن يغمسوكم في بدعهم أو يلبّسوا عليكم بعض ما تعرفون).

هذا كلامهم، هذا منهجهم.

محمد بن سيرين إمامٌ كبيرٌ مشهورٌ من التابعين، جاءه رجل وأراد أن يكلمه - وهو من أهل البدع -

فقال : ولا كلمة، قال: أقرأ عليك آية، قال: ولا آية، قالوا : ما يمنعك يا إمام أن تسمح له بذلك؟ قال: (والله لو كنت أعلم أن قلبي سيرجع كما هو لأذِنتُ له)، ما أدراك؟ ما نستطيع أن نأمن على أنفسنا، وهذا منهجٌ عامٌّ، ليس لواحدٍ من السلف ولا اثنين ولا ثلاثة ولا عشرة ولا عشرين؛ آثار كثيرة تدلّك على هذا المنهج، وليس كما يدَّعي البعض بأنه قولٌ لأحدهم أو انفراد لشخص، هذا كذب، هذه بعض الآثار التي سقناها لكم وهي كثيرة، اقرؤوا كتب السنة، كتب السلف، لماذا عزفنا عن كتب السلف؟ أين أنتم من "**شرح السنة**" للالكائي، "**الشريعة**" للآجري، "**الإبانة**" لابن بطة، "**السنة**" للخلال، "**السنة**" لعبد الله بن الإمام أحمد؛

كتب كثيرة، قراءتها تجعلك ثابتاً راسخاً في منهج السلف، اقرؤوا كتب ردود السلف على أهل البدع والضلال؛ كنقض عثمان بن سعيد الدارمي على المِرّيسي، كتب عظيمة، رد الإمام أحمد على الجهمية، كتب نفيسة والله تثبّت الشخص على المنهج.

نرجع إلى الشبهة التي ذكرها هذا الذاكر، وهي مسألة أخذ أهل الحديث عن بعض أهل البدع؛ هذه الشبهة يبيّنها لنا عليّ بن المديني رضي الله عنه، وهو من أتباع التابعين، كان إماماً في الحديث حتى لُقّب بحية الوادي لإمامته في علم العلل بالذات، وعلم الحديث منه علم العلل، ما يأتيني شخص يقول: والله فلان يعرف كلمتين، يعرف اسم عشرة رواة أو عشرين راوياً، يفتح "التقريب": ثقة، ضعيف، ثم يقول: والله يعرف في الحديث؛ لا خلاصة علم الحديث هو علم العلل، لا يأتيني شخص يحكم لي على ظواهر الأسانيد يقول: ما شاء الله عنده علم في الحديث، هذا لا ينفع؛ المحدث هو الذي عنده غوص في علم العلل، ويعرف كيف يستخرج علل الأحاديث، ويعرف الحديث الصافي من العلل؛ هذا هو المحدث، هذا العالم.

علي بن المديني قال كلمة تبيّن لنا لماذا كان أهل الحديث يروون عن أهل البدع مع أن الكثير من أهل الحديث تركوا أهل البدع كلهم وما كانوا يقبلون الرواية عنهم مع وجود المفسدة التي ذكرها علي بن المديني رضي الله عنه؛ قال علي بن المديني: (لو تركت أهل الكوفة للتشيّع وتركت أهل البصرة للقدَر؛ خربت الكتب) فإذاً كانت عندنا مفسدة كبيرة في ترك الرواية عن أهل البدع؛ وهي ضياع الكثير من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم؛ لذلك اضطر السلف لأن يأخذوا عن هؤلاء بعد

أن علموا أنهم ثقات وأنهم لا يكذبون على النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك وضعوا شرطاً: وهو أنه إذا روى الراوي المبتدع حديثاً يشد من بدعته يتركونه له، فكانت عندنا مفسدة كبيرة متوقَّعة فاحتاجوا أن يدفعوا هذه المفسدة الكبيرة بارتكاب المفسدة الأصغر منها وهي الرواية عن أهل البدع.

أما اليوم؛ فما حاجتك أن تجلس مع المبتدع وتأخذ عنه العلم؟

أولئك جلسوا مع المبتدع ليأخذوا عنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما أنت فستجلس لتأخذ عنه بدعته؛ هذا الذي أجلسك مع المبتدع.

لو جلست تدرس عند المبتدع تجويد القرآن أو اللغة العربية؛ مستعد أن يدخل عليك بدعته- وهذا ملاحظ وموجود- يدخلها عليك من خلال أي درس، فالمشكلة ليست فقط في مادة الكتاب التي تُدرَّس كما كانت بعض الدول تركز على مادة الكتاب الذي يدرَّس من أجل أن يقضوا على المناهج التي تخالفه، الكتاب ليس عبرة؛ أعطني كتاب كيمياء أدخل لك فيها العقيدة السلفية، فيزياء، رياضيات؛ أي مادة؛ ما عندي مشكلة؛ المشكلة في المدرّس وليس في المادة؛ المدرّس هو الذي يُعطي وليست المادة.

هذه هي شبهتهم، فالذي يريد أن يجلس مع أهل البدع ويريد أن يميّع دين الله وشرعه ويفتح المجال لنفسه ويخالط من شاء؛ يأتي بهذه الخرافات، أما منهج السلف فواضح وصريح، لا خفاء فيه والحمد لله.

السائل: شيخنا! إنسان إذا ما صلى الفجر، فدخل التشاؤم في قلبه في هذا اليوم؛ هل هذا التشاؤم يدخل في باب الطيرة؟

الشيخ: نعم؛ هو طيرة، والطيرة شرك، وهذا من الطيرة، ولا يجوز التشاؤم نهائياً لا بهذا ولا بغيره.

السائل : شيخنا - حفظك الله - هل البخاري فعلاً روى عن مرجئ أو قدري ؟

الشيخ : نعم صحيح أخرج البخاري لبعض المبتدعة، وهذا موجود.

السائل : أخرج له وهو يعرف بأنه مرجئ أم لم يظهر له؟

الشيخ : لا؛ بل أخرج له وهو يعلم بأنه مرجئ، وهذا من مذهب البخاري؛ هو الذي ذكرناه أنهم يخرجون لأمثال هؤلاء من أجل دفع المفسدة الكبرى بارتكاب المفسدة الصغرى.

السائل: شيخنا : الأثر عن الأوزاعي؛ لما جاء رجل، قال: أجالس أهل السنة وأهل البدع؛ قال له الأوزاعي: هذا رجل يريد أن يساوي بين الحق والباطل.

الشيخ: نعم صحيح.

السائل : بهذا المثال شيخنا - الله يحفظك - نضرب على الذين يميعون الدين؟

الشيخ : لا شك؛ أصلاً هذا الأثر من الآثار التي تهدم أصول المميّعة؛ لأن المميعة يقولون لك : أجالس هؤلاء وأجالس هؤلاء وفي كلٍّ خير، وآخذ.

المشكلة أن الكلمة التي تجعلك تتعجب من هؤلاء الخلق؛ أنهم يقولون: (أنا أنظر إلى الخير الذي عنده وآخذه وأترك الشر الذي عنده)، أنت طالب، أنت جلست عنده لتستفيد منه، فتريد أن تتعلم منه الخير والشر فكيف ستفرّق؟ تريد أن تتعلم منه الحق والباطل؛ كيف ستعرف أن الذي أعطاكه حق أم باطل؟

فإذا كنت عالماً وتفرّق بين الحق والباطل؛ لماذا ذهبت تجلس عنده؟ ماذا تريد منه؟

وإذا كنت جاهلاً كيف ستفرّق بين الحق والباطل؟

الذي تدّعيه جهل عجيب في الكلام، سبحان الله!

هذا منهج السلف رضي الله عنهم؛ كلمة الأوزاعي هذه تهدم أصول المميّعة الذين هم موجودون اليوم، يريدون أن يميّعوا المنهج ويشتتوا دين الله سبحانه وتعالى ويخلطوا الحق بالباطل حتى إنك الآن تجد بعض الشباب الذي يدعي أنه سلفي؛ تجده مخلَّطاً، تجلس معه فتجد عنده أفكاراً

عجيبة غريبة، حتى تكاد تجد فيه عشر فِرَق، في رجل واحد- إي والله-، يعني ربما تتعجب عندما تسمع عشر فرق؛ لكن عندما تسمع: تجده خارجياً ومرجئاً في نفس الوقت؛ هذا أشد عجباً، هذه مصيبة القوم، فكلمة الأوزاعي هذه تبين لنا الفارق في هذا الأمر، قالوا له: رجل يريد أن يجالس أهل السنة ويجالس أهل البدع؛ قال: (هذا رجل أراد أن يساوي الحق بالباطل)، الحق والباطل لا بد أن يتميّزا، أن يفترقا.

مسألة الولاء والبراء على الكتاب والسنة مهدومة عندهم، هذا مبتدع: خلاص مبتدع لا مشكلة، اجلس معه وآكِلْه وشاربه وخالطه؛ ما عندهم أي مشكلة.

أبو عثمان الصابوني والإمام البغوي رحمهما الله قد نقلا إجماع العلماء بإجماع السلف على وجوب هجر أهل البدع ومفارقتهم وبغضهم، إجماع منقول، ولاء وبراء في دين الله، في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، نقله البغوي في "شرح السنة" ونقله أبو عثمان الصابوني في "عقيدة أصحاب الحديث" في آخر الكتاب، نقلوا الإجماع على وجوب مفارقة أهل البدع وبغضهم وهجرهم، أين نحن من هذا؟

يحرُم، محرَّمٌ أن تجلس لصاحب بدعة يلبّس عليك أمر دينك وتعرّض دينك للخطر، هذه المنهجية نجد منهج الميوعة السائد الموجود الآن ضدها تماماً، والله المستعان.

نكتفي بهذا القدر إن شاء الله.